كلمة البابا تواضروس (*)

باسمِ الإلهِ الواحدِ الَّذي نعبُده جميعًا، ونُقدِّمُ له المجدَ والإكرامَ والعزَّ والسُّجودَ؛ الآن وكلَّ أوانٍ.

أُرحِّبُ بكم أيُّها الأحبَّاءُ، أصحابَ السَّيادةِ والغبطةِ والنِّيافةِ والفضيلةِ، وأصحابَ السَّعادةِ.

السَّيِّداتُ والسَّادةُ؛ أُرحِّبُ بكم جميعًا في هذا الوطنِ الَّذي يُقدِّمُ الصُّورةَ الجميلةَ الَّتي تحتضنُ كلَّ الأديانِ في محبَّةٍ وفي إخاءٍ.

ما أحوجَ العالَمَ الآنَ إلىٰ المحبَّةِ العمليَّةِ والسَّلامِ الحقيقيِّ، لقد عانت مصرُ والمنطقةُ العربيَّةُ كلُّها -وما زالت تُعاني- من الفكرِ المُتطرِّفِ النَّاتجِ عن الفهمِ الخاطئِ للدِّينِ، والَّذي أدَّىٰ إلىٰ ما نُواجِهُه اليومَ من عُنفٍ وإجرامٍ وإرهابٍ، والَّذي يُعَدُّ من أخطرِ تحدِّياتِ العيشِ المشتركِ.

أودُّ في هذا السِّياقِ أن أطرحَ علىٰ حضراتِكم ثلاثةَ محاورَ، أرىٰ أنَّها تضعُ المشكلةَ أمامَ أَعيُنِنا، وتضعُ أيضًا مداخلَ إلىٰ الحلِّ.

يُعتبرُ الفكرُ المتشدِّدُ والمُتطرِّفُ والعنفُ النَّاتجُ عنه من أهمِّ التَّحدِّياتِ الَّتي تُواجِهُ العيشَ المشتركَ.

هناك الإرهابُ البدنيُّ المتمثِّلُ في حوادثِ القتلِ والتَّفجيراتِ المتتاليةِ الَّتي تستهدفُ المؤسَّساتِ الوطنيَّةَ والوطنَ كلَّه؛ ممَّا يروِّعُ حياةَ الأبرياءِ.

وهناك الإرهابُ الفكريُّ المتمثِّلُ في فرضِ الفكرِ والرَّأيِ بالقوَّةِ، والهجومِ على مقدَّساتِ ومعتقداتِ الآخَرينَ، مع تكفيرِهم وتسفيهِ الممارساتِ الدِّينيَّةِ لديهم.

وهناك الإرهابُ المعنويُّ الَّذي هو حالةُ التَّطرُّفِ الفكريِّ، وإلغائيَّةِ الآخَرِ المُختلِفِ.

فالإرهابُ المعنويُّ يتمثَّلُ في الظُّلمِ والتَّمييزِ على أساسِ الدِّينِ والعقيدةِ في المعاملاتِ والحياةِ اليوميَّةِ، إنَّ أسبابَ هذا التَّطرُّفِ وهذا العنفِ ترجعُ إلى التَّربيةِ الأُحاديَّةِ القائمةِ على الرَّأيِ الواحدِ، فيكونُ كلُّ رأيٍ آخَرَ مُختلِفٍ هو بالضَّرورةِ كافرٌ ومضلِّلٌ.

وأيضًا من هذه الأسبابِ: الذَّاتُ الطَّائفيَّةُ؛ أي غيابُ ثقافةِ احترامِ الآخَرِ؛ يكونُ أشبهَ بمَن ينظرُ من مرآةٍ لا يرى فيها إلَّا نَفْسَه، فلا يحترمُ الآخَرَ؛ لا في عقيدةٍ، ولا في ثقافةٍ، ولا حتَّى في الحرِّيَّةِ الشَّخصيَّةِ.

هناك أيضًا الجهلُ بالآخَرِ، وهذه نقطةٌ غايةٌ في الأهمِّيَّةِ، والمقصودُ بها: أنَّ العقليَّةَ المُتطرِّفةَ تخلقُ لنا أعداءً من صُنعِ الخيالِ.

هذا عرضٌ مبسَّطٌ لِما نُعانيهِ بصفةٍ عامَّةٍ في منطقةِ الشَّرقِ الأوسطِ، ولكن يمكنُ أن يكونَ الحلُّ أيضًا في ثلاثةِ أبعادٍ.

البعدُ الأوَّلُ:

تقديمُ القِيَمِ الدِّينيَّةِ بصورةٍ مستنيرةٍ وعصريَّةٍ؛ فالفكرُ المُتطرِّفُ يُعالَجُ بالفكرِ المستنيرِ؛ فلا يُمكنُ قتلُ وجهةِ نظرٍ أو سَجنُها، ولكن لا بدَّ من مواجهتِه بإرساءِ خطابٍ بَنَّاءٍ مستقيمٍ، وليس خطابًا إنشائيًّا.

الدِّينُ حلٌّ للمشكلةِ وليس جزءًا منها؛ فالجهلُ بالتَّعاليمِ الدِّينيَّةِ هو العاملُ الرَّئيسُ الَّذي يقفُ وراءَ تبنِّي بعضِ الآراءِ المتشدِّدةِ والمُتطرِّفةِ.

المسيحيَّةُ يا أحبَّائي جوهرُها المحبَّةُ، وشعارُها: اللهُ محبَّةٌ، هي صانعةُ السَّلامِ، و«طوبىٰ لصانعي السَّلامِ»، وعلىٰ المحبَّةِ نبني كلَّ أفعالِنا.

في مصرَ، وعقبَ أحداثِ ١٤ أغسطس سنة ٢٠١٣م؛ عاشتِ الكنيسةُ هذا الحبَّ، وصنعتِ السَّلامَ، ووقفَ الشَّبابُ وسَطَ الكنائسِ المحترقةِ والمدمَّرةِ، وكتبَ عباراتٍ تقولُ: نحنُ نحبُّكم، نحنُ نغفرُ لكم، للَّذين اعتدَوا علىٰ هذه الكنائسِ، وقَبِلْنا هدمَ الكنائسِ في مقابلِ أن يعيشَ الإنسانُ، وأن يحيا الوطنُ.

نحنُ كرجالِ دينٍ علينا مسئوليَّةٌ كبيرةٌ في إرساءِ هذا الخطابِ العصريِّ المستنيرِ، فنحن نعيشُ في القرنِ ٢١، الَّذي له أدواتُه، وله معطياتُه، وله أساليبُه.

البعدُ الثاني:

التَّنوُّعُ غِنَىٰ الإنسانيَّةِ، وأرجو أن تكونَ هذه الكلماتُ القليلُة واضحةً، إن غاب التَّنوُّعُ عن الإنسانِ صار فقيرًا؛ قد نختلفُ في الهُويَّةِ الدِّينيَّةِ، لكن لا نختلفُ أبدًا في الهُويَّةِ الوطنيَّةِ.

إنَّ منهجَ الصِّراعِ دائمًا: الاختلافُ يُنشئُ خلافًا، ثُمَّ صراعًا، ثُمَّ استبدادًا، ثمَّ انقسامًا، أمَّا المنهجُ الحضاريُّ العصريُّ والَّذي تَنشُدُه كلُّ شعوبِ الأرضِ: أنَّ التَّنوُّعَ يُنشِئُ الحوارَ، والحوارُ يدورُ في دائرةِ التَّعارفِ والتَّسامحِ، والعيشِ المشتركِ، ووحدةِ الوطنِ.

هناك ثقافةُ الحوارِ، وهناك ثقافةُ الشِّجارِ، وهناكَ ثقافةُ الجدارِ، ونعني بالجدارِ رفضَ أيِّ حوارٍ، نحن نشجِّعُ ثقافةَ الحوارِ الدَّائمةَ مثل ما في هذا المؤتمَرِ الكريمِ.

البعدُ الثالثُ:

نحن نريدُ أن نبنيَ القِيَمَ الإنسانيَّةَ النَّبيلةَ، نريدُ أن تؤكِّدَ مجتمعاتُنا دائمًا على قيمةِ الاختلافِ والتَّنوُّعِ، واحترامِ الآخَرِ، واحترامِ التَّعدديَّةِ الدينيَّةِ الَّتي هي أساسًا أمرٌ شخصيٌّ، يخُصُّ الإنسانَ في قلبِه، ويُقابِلُ به ربَّه بعدَ نهايةِ حياتِه، نؤكِّدُ على نَشرِ ثقافةِ التَّسامحِ والتَّعايشِ المشتركِ، وحبِّ الحياةِ والخيرِ والجمالِ.

نؤكِّدُ حقَّ القبولِ وحقَّ التعبيرِ، وتشجيعَ الحوارِ بصورةٍ إنسانيَّةٍ وصورةٍ حضاريَّةٍ، نحتاجُ كثيرًا أن نبنيَ الإنسانَ الَّذي يناسبُ هذا الزَّمنَ، نأخذُ من الأديانِ المبادئَ والقِيَمَ الإنسانيَّةَ الأساسيَّةَ الَّتي تُتيحُ له أن يَفهَمَ وُجُودَه وقصدَ اللهِّ في خِلقتِه، نحتاجُ أن يكونَ العقلُ مُنفتحًا، نحتاجُ أن تكونَ المسئوليَّةُ مقابلَ الاتِّكاليَّةِ، ونحتاجُ أن يكونَ الحوارُ مقابلَ القهرِ، ونحتاجُ أن نشجِّعَ مَلَكاتِ التَّحليلِ والتَّفكيرِ مقابلَ الحِفظِ، والتَّفكيرُ مقابلُ التَّلقينِ، هذه الأمورُ أيُّها الأحبَّاءُ تصُبُّ في مجالِ الإبداعاتِ الإنسانيَّةِ.

العالَمُ يُبدِعُ كلَّ يومٍ إبداعاتٍ بالعشراتِ وبالآلافِ، ونحتاج أن نشتركَ جميعًا من كلِّ هذه المنطقة العربيَّة في هذه الإبداعات الإنسانيَّةِ.

اللهُ خَلَقَ عقولَنا، وهذا العقلُ من اللهِ لكي نُبدِعَ في حياتِنا على الأرضِ، هو خَلَقَ الإنسانَ وسلَّمَهُ الأرضَ لكي يُبدِعَ فيها، ويُبدِعَ في المجالاتِ الإنسانيَّةِ الَّتي نُسمِّيها الحضاراتِ، الَّتي نستقي منها الكثيرَ والكثيرَ.

نحتاجُ أن نشتركَ جميعًا في بناءِ الحضارةِ الإنسانيَّةِ، ونأخذَ من أساسياتِ الأديانِ مبادئَ للحياةِ اليوميَّةِ، نحتاجُ بناءَ الوعيِ الإنسانيِّ.

إنَّ استخدامَ مواقعِ التَّواصلِ الاجتماعيِّ والأساليبِ الإعلاميَّةِ الجديدةِ في ترسيخِ المفاهيمِ الصَّحيحةِ، ولا سيَّما مواقعُ التَّواصلِ الاجتماعيِّ «Social Media» الَّتي يُديرُها أصحابُ الفكرِ المُتطرِّفِ، والَّتي تلعبُ دورًا مؤثِّرًا في تشكيلِ عقولِ الشَّبابِ؛ نحتاجُ أن يكونَ هذا الأمرُ واضحًا أمامَنا، فلا بدَّ من استخدامِ نفسِ الأداةِ في مواجهةِ هذا التَّطرُّفِ، باستخدامِ أدواتٍ إعلاميَّةٍ ثقافيَّةٍ وتربويَّةٍ ذاتِ طابعٍ خاصٍّ ومؤثِّرٍ.

نحتاجُ أن نَدعَمَ دَورَ المرأةِ في التَّوعيةِ، وخاصَّةً في مجالِ الأسرةِ والتَّربيةِ والطِّفلِ والاهتمامِ بالأسرةِ، باعتبارِ أنَّها هي الأساسُ وأنَّها الرَّكيزةُ، وأنَّها الَّتي تبدأُ العملَ مع الإنسانِ في صغرِهِ وفي نموِّهِ وفي حياتِهِ، والإنسانُ عندما يَشبعُ في أُسرتِه من الحبِّ يستطيعُ أن يُواجِهَ المجتمعَ، ويستطيعُ هذا الحبُّ أن يحفظَه من كلِّ تطرُّفٍ،

فالنَّفسُ الَّتي شبعتْ من الحبِّ تستطيعُ أن تتجنبَ الإغراءاتِ والتَّطرُّفاتِ وكلَّ هذه الأعمالِ الَّتي نراها في زمنِنا هذا ونرفضُها.

أخيرًا -أيُّها الأحبَّاءُ- أودُّ أن أؤكِّدَ على أنَّنا في تعايُشِ أبناءِ الوطنِ الواحدِ في إطارِ القِيَمِ الإنسانيَّةِ المشتركةِ، وعلى أساسِ الاحترامِ المتبادَلِ بين الجميعِ، هذا يؤدِّي بالحقيقةِ إلى الاستقرارِ والتَّقدُّمِ، بما يضمنُ دائمًا أفضلَ السُّبُلِ لحياةِ أوطانِنا والعالَمِ أجمعَ.

نصلِّي أن يباركَ اللهُ كلَّ هذه الجهودِ المخلصةِ في بناءِ أوطانِنا وبناءِ الإنسانِ في هذه المنطقةِ الغاليةِ الَّتي شَهِدَت ولادةَ الأديانِ، ونصلِّي أن يحفظَ اللهُ بلادَنا من كلِّ شرٍّ، وأن يسودَ السَّلامُ في كلِّ ربوعِ العالَمِ، وأشكركم كثيرًا.

والمجدُ للهِ دائمًا أبديًّا .. آمين